High Center for Islamic Revolution Studies

Journal of Islamic Revolution Discourse

Home Page : https://jird.ut.ac.ir

Online ISSN: 3060-6527

The Imam Khomeini Movement in Iran: 1963–1979
A Case Study of Three Works by Ali Shariati, Jalal al-Din Farsi, and Habibollah Peyman

Hadi Yaghoubzadeh*

Assistant Professor, Department of Islamic Studies, Faculty of Applied Arts, Iran University of Art, Tehran, Iran. Email: yaghoubzadeh@art.ac.ir

ARTICLE INFO

Article type:
Research Article

Article History:
Received:
2024/12/21
Revised:
2025/01/14
Accepted:
2025/03/10
Published online:
2025/04/06

Keywords:
Prophetic *Sīrah*;
Imam Khomeini's Movement;
Social Approach;
Social Issues; the Second Pahlavi Era.

ABSTRACT

Objective

This study aims to examine the impact of Imam Khomeini's movement during the 1340s AH on the writing of works about, and the reconstruction of social perceptions of, the *Sīrah* of the Prophet Muhammad (PBUH), as well as on its transformation from a merely historical source into a practical model and standard for society.

Research Method

This study examines historical data and analyzes works on the Prophet's *Sīrah* published during this period using an analytical-comparative method.

Findings

In addition to increasing the number of written works about the Prophet Muhammad (PBUH), Imam Khomeini's movement contributed to the reconstruction of a social approach to his *Sīrah*. This development is clearly reflected in works such as *From the Hijrah to the Prophet's Demise* by Ali Shariati; *The Evolutionary Revolution of Islam* by Jalal al-Din Farsi; and *The Red Rose of Monotheism: How Did It Bloom in the Desert of Polytheism?* by Habibollah Peyman.

Conclusion

Influenced by the sociopolitical atmosphere following the movement and by society's need for a socially engaged understanding of Islam, the writers of this period presented a strategic and operational program through a historical comparison between the past and the present. The principal outcome of this approach was the cultivation of sensitivity toward social issues, as well as the rise and resistance against the tirany, modeled on the Prophetic *Sīrah*.

Cite this article: Yaghoubzadeh, H; (2025) The Imam Khomeini Movement in Iran: 1963–1979; A Case Study of Three Works by Ali Shariati, Jalal al-Din Farsi, and Habibollah Peyman, (1-20)
https://doi.org/10.22059/jird.2026.383048.1012
Publisher: University of Tehran

مركز الدراسات العليا للثورة الإسلامية
خطاب الثورة الإسلامية
مجلة فصلية علمية
موقع المجلة: https://jird.ut.ac.ir
الترقيم الدولي الموحد الإلكتروني: ٣٠٦٠-٦٥٢٧

إعادة إنتاج المقاربة الاجتماعية للسيرة النبوية بعد نهضة الإمام الخميني (قدس سره) في إيران (١٩٦٣-١٩٧٩م): دراسة حالة لثلاثة مؤلفات لعلي شريعتي وجلال الدين الفارسي، وحبيب اللّه بيمان

هادي يعقوب زاده

أستاذ مساعد، قسم المعارف الإسلامية، كلية الفنون التطبيقية، جامعة الفنون في إيران، طهران، إيران. البريد الإلكتروني: yaghoubzadeh@art.ac.ir

معلومات المقالة

نوع المقالة:
علمية

تاريخ الاستلام:
٢٠٢٤/١٢/٢١

تاريخ المراجعة:
٢٠٢٥/٠١/١٤

تاريخ القبول:
٢٠٢٥/٠٣/١٠

تاريخ النشر:
٢٠٢٥/٠٤/٠٦

الكلمات المفتاحية:
السيرة النبوية، نهضة الإمام الخميني (قدس سره)، المقاربة الاجتماعية، القضايا الاجتماعية، العهد البهلوي الثاني.

الملخص

الهدف: دراسة تأثير نهضة الإمام الخميني (قدس سره) في عقد الأربعينيات من القرن الرابع عشر الهجري الشمسي في الكتابة عن سيرة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) وإعادة صياغة النظرة الاجتماعية إلى سيرته، وإخراجها من كونها مجرد مصدر تاريخي إلى نموذج عملي ومعيار للمجتمع.

منهج البحث: دراسة المعطيات التاريخية وقراءة مؤلفات السيرة المنشورة في هذه المرحلة الزمنية، بالاعتماد على المنهج التحليلي المقارن.

النتائج: أسهمت نهضة الإمام الخميني (قدس سره)، إلى جانب ازدياد عدد المؤلفات حول النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، في إعادة صياغة المقاربة الاجتماعية لسيرته؛ وقد تجلّى ذلك بوضوح في مؤلفات من قبيل «من الهجرة إلى الوفاة» لعلي شريعتي، و«الثورة التكاملية للإسلام» لجلال الدين الفارسي، و«كيف نبتت الوردة الحمراء للتوحيد في صحراء الشرك؟» لحبيب الله بيمان.

الاستنتاج: قدّم مؤلفو هذه المرحلة، متأثرين بالظروف التي أعقبت النهضة وبحاجة المجتمع إلى الإسلام الاجتماعي، ومن خلال المقارنة التاريخية بين الماضي والحاضر، برنامجًا استراتيجيًا وعمليًا، تمثّل أثره الرئيس في إثارة الوعي بالقضايا الاجتماعية، والنهوض في مواجهة الطاغوت ومقاومته، اقتداءً بالسيرة النبوية.

الاستشهاد: يعقوب زاده، هادي؛ (٢٠٢٥) إعادة إنتاج المقاربة الاجتماعية للسيرة النبوية بعد نهضة الإمام الخميني (قدس سره) في إيران (١٩٦٣-١٩٧٩م): دراسة حالة لثلاثة مؤلفات لعلي شريعتي وجلال الدين الفارسي، وحبيب الله بيمان. خطاب الثورة الاسلامية (٢٠-١)

https://doi.org/10.22059/jird.2026.383048.1012

الناشر: جامعة طهران

الملخص

أسفرت نهضة الإمام الخميني (قدس سره) في اربعينيات القرن الهجري الشمسي عن آثار بالغة الأهمية في المجتمع الإيراني، ومن أبرز هذه الآثار إعادة إنتاج النظرة الاجتماعية إلى السيرة النبوية؛ إذ انتقلت السيرة من كونها مجرد مصدر تاريخي إلى موقعها الأصيل بوصفها نموذجًا ومعيارًا للمجتمع الإسلامي. وكانت هذه الرؤية في العالم الإسلامي قد أسهمت، في مرحلة سابقة، في إعادة إنتاج القراءات الاجتماعية للإسلام وللسيرة النبوية بما ينسجم مع التحولات المستجدة. وانطلاقًا من ذلك، تطرح هذه الدراسة السؤال الآتي: ما أثر نهضة الإمام الخميني (قدس سره) في ستينيات القرن الهجري الشمسي في كتابة السيرة النبوية من منظور اجتماعي؟ وقد أظهرت دراسة المعطيات التاريخية وقراءة مؤلفات السيرة التي أُلِّفت خلال هذه المرحلة، اعتمادًا على المنهج التحليلي المقارن، أن نهضة الإمام الخميني (قدس سره) لم تُسهم في ازدياد عدد المؤلفات المتعلقة برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فحسب، بل أسهمت كذلك في إعادة إنتاج المقاربة الاجتماعية للسيرة النبوية. وقد تجلّى ذلك بوضوح في كتاب «من الهجرة إلى الوفاة» لعلي شريعتي، وكتاب «الثورة التكاملية للإسلام» لجلال الدين الفارسي، وكتاب «كيف نبتت الوردة الحمراء للتوحيد في صحراء الشرك؟» لحبيب الله بيمان. وقد تبنّى هؤلاء الكتّاب، في ظل الأجواء التي أفرزتها نهضة الإمام الخميني (قدس سره)، واستجابةً للتعطش المجتمعي إلى الإسلام ذي البعد الاجتماعي، قراءةً اجتماعيةً للسيرة النبوية، وسعوا إلى الإفادة منها، وإقامة موازنة تاريخية بين الماضي والحاضر، لتقديم برنامج ذي طابع استراتيجي وعملي في آنٍ واحد أمام جمهورهم، كانت محصلته إثارة الحساسية تجاه قضايا المجتمع، والحث على النهوض في مواجهة الطاغوت والثبات أمامه، وهو أمر سبق أن تجسد بصورة عملية في السيرة النبوية.

الكلمات المفتاحية: السيرة النبوية، نهضة الإمام الخميني (قدس سره)، المقاربة الاجتماعية، القضايا الاجتماعية، العهد البهلوي الثاني.

المقدمة

تُعدّ المقاربة الاجتماعية للسيرة النبوية من المقاربات الحديثة نسبيًا التي برزت خلال العقود الماضية في عدد من المؤلفات المعنية بحياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وقد اعتمد بعض الكتّاب في إيران هذه المقاربة في مؤلفاتهم المنشورة خلال المدة الممتدة بين عامي ١٣٤٠ و١٣٥٧هـ.ش (١٩٦١–١٩٧٩م)، بهدف إبراز الأبعاد الاجتماعية في حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتفعيل أثرها في المجتمع وإصلاحه.

وفي هذه المرحلة، التي شهدت انتفاضة الشعب الإيراني بقيادة الإمام الخميني (قدس سره) لإحداث الثورة وتغيير النظام الحاكم، أُعيد إنتاج المقاربة الاجتماعية للسيرة النبوية، وغدت السيرة تُقرأ بوصفها نموذجًا عمليًا

وفاعلًا في مواجهة الطاغوت. ومن هنا تبرز الإشكالية الرئيسة للدراسة: ما أثر نهضة الإمام الخميني (قدس سره) في إعادة إنتاج المقاربة الاجتماعية للسيرة النبوية؟ وما التصور الذي قدّمته هذه المقاربة للسيرة النبوية؟

وتشير دراسة المؤلفات الصادرة خلال المدة الزمنية التي يغطيها هذا البحث إلى أن إعادة قراءة السيرة النبوية في ضوء القضايا والتحديات الاجتماعية، بعد نهضة الإمام الخميني (قدس سره)، قد تجلت في ثلاثة مؤلفات هي: «من الهجرة إلى الوفاة» لعلي شريعتي، و«الثورة التكاملية للإسلام» لجلال الدين الفارسي، و«كيف نبتت الوردة الحمراء للتوحيد في صحراء الشرك؟» لحبيب الله بيمان.

وعليه، يسعى هذا البحث إلى بيان أثر نهضة الإمام الخميني (قدس سره) في تطورات كتابة السيرة النبوية المعاصرة من منظور اجتماعي، والكشف عن الكيفية التي فسرت بها هذه المؤلفات السيرة الاجتماعية لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ومن الضروري التنبيه إلى أن المقصود بالتأثير هنا هو بروز وتجلي النزعة الاجتماعية في تناول السيرة النبوية، حتى وإن لم يصرح مؤلفو تلك الأعمال بذلك صراحةً؛ إذ إن تحليل مضامينها، مع مراعاة السياق الزمني الذي كُتبت فيه، يكشف عن انسجامها مع مفهوم «الإسلام الاجتماعي»، الذي شكّل أحد المطالب الرئيسة للإمام الخميني (قدس سره)، وكانت السيرة النبوية تمثل محوره الأساس.

١. تحديد المفاهيم

يُعد مصطلح «المقاربة الاجتماعية» تركيبًا من لفظين هما: «المقاربة» و«الاجتماعية»، ويؤدي اجتماعهما إلى توليد مفهوم جديد يتجاوز الدلالة المعجمية لكل منهما على حدة.

ويقابل لفظ «المقاربة» في الإنجليزية مصطلح Approach، ويُستخدم في الفارسية بمعانٍ متعددة، منها: المنهج، والمدخل، والاستراتيجية، والرؤية، والتصور، وأسلوب المعالجة (حق‌شناس، ١٣٩٠، ص. ٥٥). وعليه، فإن المقاربة تشير إلى الكيفية التي ينظر بها الباحث إلى موضوع معين أو يتعامل معه، وهي تختلف باختلاف الأسس النظرية، والافتراضات المسبقة، والحقول المعرفية التي ينتمي إليها الباحثون.

أما لفظ «الاجتماعية» فيشير إلى كل ما يتصل بالمجتمع ويتسم بالطابع العام والجماعي (معين، ١٣٧٥، مادة «اجتماعي»). وعندما يقترن هذا الوصف بالمقاربة، فإنه يدل على نمط من دراسة الموضوعات يأخذ في الاعتبار ظروفها وتحدياتها الاجتماعية.

ومن ثم، فإن المقاربة الاجتماعية في الدراسات التاريخية تعني دراسة التاريخ في ضوء القضايا والتحديات الاجتماعية، مع التركيز على تحليل التحولات البنيوية والاجتماعية التي شهدها المجتمع، وإبراز الخصائص التي تميز كل عصر عن غيره (بلاك، ومكرايلد، ١٣٩٠، ص. ١٦٣).

ويُفضي هذا المنهج إلى الإفادة من التاريخ وربطه بالواقع؛ إذ إن التاريخ لا يكتسب معناه وتجسده الحقيقي إلا إذا أقام علاقة منطقية بين الماضي والحاضر (كار، ١٣٤٩، ص. ١٩٠).

وبناءً على ذلك، فإن دراسة السيرة النبوية وفق المقاربة الاجتماعية تهدف إلى تحليل الظروف الاجتماعية التي كانت سائدة في عصر الرسالة، ومقارنتها بالواقع الراهن، من أجل الإحاطة بالمشكلات والتحديات الاجتماعية، واستنباط نموذج عملي لمعالجتها في ضوء السيرة النبوية.

٢. خلفية الدراسات المتعلقة بالسيرة النبوية وفق المقاربة الاجتماعية

استمرّ تقليد تدوين السيرة النبوية في العصر الحديث، كما كان الحال في القرون السابقة. وعلى الرغم من أن هذا المسار واجه في بعض الفترات ـ ولا سيما في عهد رضا شاه بهلوي ـ حالةً من الإهمال والتهميش، فإنه شهد بعد ذلك العهد استمرارًا ملحوظًا من خلال تأليف العديد من المؤلفات التي تبنّت مقاربات تقليدية وأخرى حديثة. ومن بين هذه المقاربات، برزت المقاربة الاجتماعية التي بدأت مع مطلع ستينيات القرن الهجري الشمسي، ثم تعززت مع تصاعد نهضة الإمام الخميني (قدس سره)، وتبنّتها التيارات المعارضة للنظام البهلوي.

وقد كانت المقاربة الاجتماعية للسيرة النبوية ثمرةً للرؤية السوسيولوجية للتاريخ، التي ظهرت نماذجها الأولى في عصر التنوير الأوروبي، ثم تطورت لاحقًا لتغدو مقاربةً مستقلة ذات طابع وظيفي. وفي إطار هذه المقاربة، سعى أوائل علماء الاجتماع الأوروبيين، أمثال أوغست كونت وتوماس هنري باكل، إلى اكتشاف القوانين الحاكمة للتحولات الاجتماعية من خلال دراسة تاريخ المجتمعات (بلاك ومكرايلد، ١٣٩٠، ص. ١٦٠). وكذلك كان إميل دوركايم وأتباعه يؤمنون بأن علم الاجتماع لا يمكن أن يستغني عن التاريخ، إذ عدّوا التاريخ أمَّ علم الاجتماع، وذهبوا إلى أن عالم الاجتماع ينبغي أن يغوص في أعماق الماضي حتى يتمكن من اكتشاف الشخصية التاريخية للإنسان (رادمنش، ١٣٧٩، ص. ٢١٨).

وقد انتشرت هذه المقاربة التاريخية في مجتمعات أخرى أيضًا، كما تجلّى ذلك في أوساط المثقفين الإيرانيين في العصر القاجاري، بعد احتكاكهم بالأفكار الغربية، حيث بدأت تتشكل لديهم هذه الرؤية الجديدة في قراءة التاريخ.

ومن جهة أخرى، حظيت إعادة تفسير الإسلام والسيرة النبوية تفسيرًا اجتماعيًا باهتمام عدد من رواد الإصلاح الإسلامي، وفي مقدمتهم السيد جمال الدين الأسدآبادي، الذي تناول تعاليم الإسلام والسيرة النبوية بمنظور اجتماعي، ووجّه من خلالهما نقدًا للمجتمع المعاصر له (الأسدآبادي، ١٤٢٣هـ، ص. ١٦٥)، كما عدَّ السيرة النبوية مصدرًا أصيلًا لإحداث التغيير الاجتماعي المنشود في المجتمع الإسلامي (الأسدآبادي،

١٤٢٣هـ، ص. ١٦٦؛ وانظر أيضًا: ص. ١٢٢).

وقد واصل مصلحون مسلمون آخرون تبنّي هذا الاتجاه. غير أن الإصلاح الاجتماعي، والاهتمام بالأبعاد الاجتماعية للإسلام والسيرة النبوية، اكتسبا زخمًا أكبر بعد نهضة الإمام الخميني (قدس سره) ومواجهته للطاغوت والنظام البهلوي الفاسد.

وانطلاقًا من هذه الرؤية، سعى الباحثون إلى تحديث البعد النموذجي في السيرة النبوية بما ينسجم مع احتياجات المجتمع ومتطلباته (انظر: يعقوب زاده، ١٣٩٦، ص. ١٦٠). وقد أُعيد إحياء هذا الاتجاه مع انطلاق نهضة الإمام الخميني (قدس سره)، وكانت ثمرته ظهور مؤلفات تناولت السيرة النبوية من منظور اجتماعي، وهو ما سيُبحث في الصفحات الآتية من خلال بيان العوامل التي مهدت لذلك.

٣. مرتكزات إعادة إنتاج المقاربة الاجتماعية للسيرة النبوية في إيران قبل الثورة الإسلامية

بعد رحيل آية الله البروجردي، انخرط الإمام الخميني (قدس سره)، الذي كان يُعرف آنذاك بـ«الحاج آقا روح الله» (انظر: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، ١٣٩٣، ص. ٧٥)، بصورة جادة في العمل السياسي، وتولى قيادة نهضة انتهت عام ١٣٥٧هـ.ش (١٩٧٩م) بسقوط النظام الملكي وتأسيس الجمهورية الإسلامية. وكان أول تحرك جاد للإمام الخميني (قدس سره) في مواجهة النظام البهلوي اعتراضه على إقرار مشروع قانون المجالس المحلية والإقليمية (لائحة الجمعيات الإقليمية والولائية)، الذي طُرح في شهر مهر سنة ١٣٤١هـ.ش (أكتوبر/تشرين الأول ١٩٦٢م). فقد كان النظام، بموجب هذا المشروع، يعتزم إلغاء ثلاثة شروط نص عليها الدستور، وهي: أن يكون الناخبون والمرشحون مسلمين، وأن يؤدوا القسم على القرآن الكريم، وأن يكون المرشح من الذكور. ولما رأى الإمام الخميني (قدس سره) أن هذا المشروع يتعارض مع الدستور المشروطي، أعلن معارضته له (الإمام الخميني، ١٣٨٥، ج١، صص. ٨٠–٨١).

ورغم أن المعارضة الشعبية بقيادة الإمام الخميني (قدس سره) أدت إلى إلغاء المشروع، فإن الشاه سعى، من خلال طرح الاستفتاء الخاص بـ«الثورة البيضاء»، إلى إظهار الصدام القائم بين النظام والإسلام بصورة أكثر وضوحًا. فاعترض الإمام الخميني (قدس سره) على هذا الاستفتاء، وواجه سياسات النظام الرامية إلى إقصاء الإسلام من الحياة العامة.

وبعد تصاعد معارضة الإمام الخميني (قدس سره) لإجراءات الشاه، حاول النظام القضاء على الحركة من خلال القمع الدموي للمعارضين، واعتقال قائد النهضة ثم نفيه. وبعد القمع الوحشي لانتفاضة الخامس عشر من خرداد سنة ١٣٤٢هـ.ش، ونفي قائدها، وسّعت الشرطة السرية التابعة للشاه (السافاك) نطاق سيطرتها ليشمل معظم جوانب الحياة العامة، وحُظرت الأحزاب السياسية المستقلة، كما خضعت الآداب والفنون

والخطاب السياسي لرقابة صارمة (وحدت، ١٣٩٠، ص. ١٩٨). وأصبح إبداء أي رأي سياسي من قبل المعارضين أمرًا محظورًا، وسيطر الخوف والترهيب على الجامعات وسائر الأوساط المعروفة بروح النقد والمعارضة (ديغار وآخرون، ١٣٧٨، ص. ١٩٥). ومع ذلك، لم يتراجع الإمام الخميني (قدس سره) ولا تلامذته عن مواصلة النضال (آبراهاميان، ١٣٨٩، ص. ٤٦٤).

وكان الإمام الخميني (قدس سره) يرى أن الحل الوحيد للأزمات الاجتماعية والسياسية في إيران يكمن في العودة إلى أحكام الإسلام، وإدارة الدولة على أساس مبادئ الشريعة الإسلامية؛ لأن الإسلام ـ بحسب تعبيره ـ «يمتلك نظامًا اجتماعيًا واقتصاديًا وثقافيًا خاصًا»، كما أنه «وضع قوانين خاصة لجميع أبعاد الحياة الفردية والاجتماعية وشؤونها» (الإمام الخميني، ١٣٨٥، ج٥، ص. ٣٨٧).

وفي مواجهة الجماعات التي كانت ترى في الماركسية سبيلًا لتحرير الجماهير، أكد الإمام الخميني (قدس سره) أن عبودية الله تعالى والالتزام بأوامره هما الطريق الوحيد للخلاص من الظلم والاستبداد والطغيان (الإمام الخميني، ١٣٨٥، ج٥، ص. ٣٨٧). كما عدَّ مواجهة الطاغوت من الدروس الأساسية التي يقررها الإسلام، ورأى أن السيرة النبوية تقدم النموذج العملي الأوضح لذلك (الإمام الخميني، ١٣٨٥، ج٢، صص. ٢٩–٣١؛ ج٤، صص. ٢١٣–٢٢٨، ٣١٦–٣٣٠). كذلك اعتبر التلازم بين القيادة الدينية والقيادة السياسية نموذجًا مستمدًا من سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والإمام علي (عليه السلام) (الإمام الخميني، ١٣٨٥، ج٥، ص. ٣٨٧).

وبناءً على ذلك، رأى الإمام الخميني (قدس سره) أن السيرة النبوية تمثل نموذجًا متكاملًا لمواجهة الطواغيت وإدارة المجتمع، ودعا إلى تطبيقها والاقتداء بها (الإمام الخميني، ١٣٨٥، ج٤، ص. ١٧٨). وكان هذا التصور منبثقًا من فكرة «الإسلام الثوري» التي تجلت في فكر الإمام الخميني (قدس سره)، والتي تقوم على إحداث تحول جذري في البنية الاجتماعية، أي تحقيق ثورة اجتماعية شاملة.

ومن جهة أخرى، امتلك الإمام الخميني (قدس سره) تصورًا مغايرًا لبعض معاصريه بشأن المسؤولية الاجتماعية للعلماء، الأمر الذي مكّنه من إعادة مؤسسة المرجعية إلى موقعها الطبيعي بوصفها مؤسسة اجتماعية فاعلة وعملية، تقف في مواجهة الظلم والاستبداد (باكتشي وآخرون، ١٣٩٤، مج٢٢، ص. ٦٧٠). وكان مقتضى هذه الرؤية إحداث تحول في المجتمع الإسلامي، ودفع المسلمين إلى تطبيق أحكام الإسلام في واقعهم. كما أسهمت هذه المقاربة في تشكيل خطاب اجتماعي جديد، كان من أبرز نتائجه إعادة إنتاج النظرة الاجتماعية إلى السيرة النبوية. ومن ثم، يمكن عدّ إعادة إنتاج المقاربة الاجتماعية للسيرة النبوية إحدى النتائج المهمة لنهضة الإمام الخميني (قدس سره)، التي هدفت إلى إحياء الإسلام في العصر الحديث.

وفيما يلي تُعرض أبرز المؤلفات التي تناولت السيرة النبوية وفق هذه المقاربة، مع بيان خصائصها المنهجية.

٤. التعريف بالمؤلفات التي تناولت السيرة النبوية وفق المقاربة الاجتماعية

عقب نهضة الإمام الخميني (قدس سره)، ظهرت مؤلفات متعددة تناولت السيرة النبوية من منظور اجتماعي، كتبها أفراد واتجاهات فكرية مختلفة، غير أن ثلاثة أعمال حظت بمكانة متميزة في هذا المجال، وهي: «من الهجرة إلى الوفاة» لعلي شريعتي، و«الثورة التكاملية للإسلام» لجلال الدين الفارسي، ورباعية «كيف نبتت الوردة الحمراء للتوحيد في صحراء الشرك؟» لحبيب الله بيمان.

وقد أُلِّفت هذه الأعمال بعد نهضة الإمام الخميني (قدس سره)، وتأثرت بالمناخ الفكري الذي أوجدته، وتميزت ـ بخلاف كثير من مؤلفات السيرة في تلك المرحلة ـ باعتمادها مقاربةً اجتماعيةً في قراءة السيرة النبوية.

ومع ذلك، لم يصرح مؤلفو هذه الأعمال بتأثرهم المباشر من نهضة الإمام الخميني (قدس سره) في اهتمامهم بالأبعاد الاجتماعية للسيرة النبوية. ويعود ذلك إلى أن النظام البهلوي كان يعدّ الإمام الخميني (قدس سره) عدوه الأول، وكان يعتبر مجرد ذكر اسمه أو الإشادة به جريمة لا تُغتفر، بل كان يمنع حتى نشر المؤلفات التي يُحتمل أن تكون مروجة لأفكاره وتوجهاته. ومن هنا مُنع أيضًا نشر مقالتي علي شريعتي وكتاب «الثورة التكاملية للإسلام» لجلال الدين الفارسي.

ولعل هذه القيود السياسية تفسر امتناع مؤلفي تلك الأعمال عن الإشارة إلى الدور الذي أدته نهضة الإمام الخميني (قدس سره) في توجيه الاهتمام نحو الأبعاد الاجتماعية للسيرة النبوية. وفيما يأتي تُعرض هذه المؤلفات بالتعريف والتحليل.

٤-١. من الهجرة إلى الوفاة

يُعد كتاب «من الهجرة إلى الوفاة» (از هجرت تا وفات)، الذي ألّفه علي شريعتي، من أبرز الأعمال التي تناولت السيرة النبوية بمنظور اجتماعي بعد نهضة الإمام الخميني (قدس سره). وقد كُتب هذا العمل، إلى جانب مقال «صورة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)» (سيماى محمد)، استجابةً للدعوة التي وجّهها الأستاذ الشهيد مرتضى مطهري إلى شريعتي للمشاركة في إعداد كتاب «خاتم الأنبياء». وقد صدر هذا الكتاب عن حسينية الإرشاد في طهران سنة ١٣٤٧هـ.ش (١٩٦٨م).

ونُشر كل واحد من هذين المقالين لاحقًا في كتاب مستقل؛ إذ صدر مقال «من الهجرة إلى الوفاة» عن منشورات هادي بمدينة قم باسمٍ مستعار هو «علي علوي». ويمكن عدُّ هذين المقالين خطوةً مهمةً في مشروع شريعتي الرامي إلى تقديم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بوصفه نموذجًا سياسيًا واجتماعيًا لعصره.

ويتركز موضوع هذه الدراسة على مقال «من الهجرة إلى الوفاة».

ولم يكن هدف شريعتي في هذا المقال مجرد سرد أحداث عصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإنما سعى، من خلال رؤية سوسيولوجية، إلى استنباط النموذج الاجتماعي للإسلام اعتمادًا على السيرة النبوية. ولذلك، فإن مقال «من الهجرة إلى الوفاة» ليس نصًا تاريخيًا محضًا، بل هو نص تاريخي—اجتماعي، يُقدَّم فيه، عبر قراءة التاريخ والسيرة النبوية، تحليلٌ للواقع القائم، وبيانٌ لشروط الانتقال منه إلى الواقع المنشود. وكانت النتيجة الطبيعية لهذه الرؤية هي الوقوف في مواجهة النظام الطاغوتي الحاكم، الذي عُدَّ أكبر عائق يحول دون تحقيق إنسانية الإنسان. ولا تختلف هذه الرؤية، في جوهرها، عن مشروع الإمام الخميني (قدس سره) في إعادة بناء المجتمع ومواجهة النظام البهلوي.

ومن هنا، يمكن اعتبار شريعتي مفكرًا ذا توجه سوسيولوجي، سعى إلى إعادة قراءة الإسلام من منظور اجتماعي. ومع ذلك، فإن إنتاجه الفكري لم يخلُ من مواطن النقد، حتى إنه أوجد حوله تيارين متقابلين من المؤيدين والمعارضين. ومن جهة أخرى، وعلى الرغم من أن بعض الباحثين نقلوا عن شريعتي أنه كان يعدّ نفسه مقلدًا للإمام الخميني (قدس سره) (حسن زاده كاشمري، ١٣٨٧، ص. ٣٢)، فإن هذا القول لم يستند إلى مصدر موثق (شعاع حسيني، ١٣٨٧، ص. ٣٢). ومع ذلك، لا يمكن إنكار تأثره بنهضة الإمام الخميني (قدس سره).

٢-٤. الثورة التكاملية للإسلام

ومن الأعمال الأخرى التي تناولت السيرة النبوية من منظور اجتماعي كتاب «الثورة التكاملية للإسلام» (انقلاب تكاملى اسلام)، الذي ألّفه جلال الدين الفارسي. وقد صدر هذا الكتاب عن منشورات آسيا في طهران سنة ١٣٤٩هـ.ش (١٩٧٠م)، ولاقي إقبالًا واسعًا من القراء (الشهيدي، ١٣٦٣، ص. ٨). ويمثل هذا الكتاب، إلى حدٍّ كبير، رؤية التيار الإسلامي الثوري، الذي أعاد قراءة السيرة النبوية من منظور اجتماعي، بعيدًا عن النزعات التلفيقية، ومنطلقًا من الأسس الإسلامية الأصيلة. وكان أصحاب هذا الاتجاه يرون أن حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) زاخرة بالمشاهد الثورية الملهمة والمفعمة بالحيوية (برورش، ١٣٥٦، ص. ٣٧).

ومن خلال إبراز الأبعاد الاجتماعية في السيرة النبوية، حاول هؤلاء تقديم نموذج متكامل تسترشد به القوى الثورية. ويُعد كتاب «الثورة التكاملية للإسلام» أهم عمل أُلِّف في هذا الاتجاه خلال عقد الأربعينيات الهجرية الشمسية (الستينيات الميلادية)، وهو ثمرة مباشرة للمناخ الفكري والسياسي الذي نشأ بعد نهضة الإمام الخميني (قدس سره). كما أن الارتباط الفكري الوثيق لجلال الدين الفارسي بالإمام الخميني (قدس

سره)، ومشاركته الفاعلة في الحركة الإسلامية، يعززان القول بتأثره العميق بأفكار الإمام. ويؤكد ذلك الرسالة التي بعثها الإمام الخميني إليه سنة ١٣٥٧هـ.ش، والتي لم يكتفِ فيها بتأييد صحة آرائه، بل دعاه أيضًا إلى تأليف كتب في مواجهة المدارس والأفكار المنحرفة (الإمام الخميني، ١٣٨٥، ج٣، ص. ٣٩٧)، وهو ما يعكس حجم التقارب الفكري بينهما.

٣-٤ . كيف نبتت الوردة الحمراء للتوحيد في صحراء الشرك؟

في الأشهر الأخيرة من سنة ١٣٥٧هـ.ش، بدأ صدور الكتاب الرباعي «كيف نبتت الوردة الحمراء للتوحيد في صحراء الشرك؟» (گل سرخ توحيد در كوير شرک چگونه روئيد؟)، الذي ألّفه حبيب الله بيمان.

ويتألف هذا العمل من أربعة مجلدات صدرت بعناوين مختلفة، غير أنها في حقيقتها تمثل نصوص المحاضرات التي ألقاها المؤلف، ثم جُمعت ونُشرت في صورة كتاب. وكان حبيب الله بيمان زعيم الاشتراكيين المسلمين، وقد تناول هو الآخر السيرة النبوية من منظور اجتماعي. ومن الجدير بالذكر أن من بين الاتجاهات التي قرأت السيرة النبوية قراءةً اجتماعيةً تيار الماركسيين الإسلاميين، الذين سعوا إلى تفسير المبادئ الإسلامية في ضوء التعاليم الماركسية، وأُطلق على هذا الاتجاه مصطلح «الماركسية الإسلامية» (Islamic Marxism) لوصف هذا المزج الفكري (عنايت، ١٣٦٥، ص. ٢٦٦).

وقد أسفر هذا التوجه عن ظهور مؤلفات حاولت، بالاستناد إلى مبادئ المادية التاريخية، ومن خلال تأويل موجَّه للآيات القرآنية والروايات، تقديم قراءة للإسلام تختلف عن الفهم الذي تبنّاه التيار الإسلامي التقليدي (عنايت، ١٣٦٥، ص. ٢٦٨). وانطلاقًا من هذا المنظور، تناول أصحاب هذا الاتجاه السيرة النبوية أيضًا. وكان هذا المزج الفكري محاولةً للاستجابة لحاجات المجتمع، ولا سيما جيل الشباب، الذي أخذ يفقد ثقته بشعار «الماركسية هي الطريق الوحيد للنضال» مع انطلاق نهضة الإمام الخميني (قدس سره). ولذلك، عمد بعض المنتمين إلى الفكر الماركسي، ممن احتفظوا في الوقت نفسه بانتمائهم إلى الإسلام، إلى صياغة مفهوم جديد هو «الماركسية الإسلامية»، على الرغم مما ينطوي عليه من تناقض واضح، ومن خلال هذا المنظور اتجهوا إلى دراسة السيرة النبوية.

ويُعد كتاب «كيف نبتت الوردة الحمراء للتوحيد في صحراء الشرك؟» أبرز عمل أُلِّف في هذا الاتجاه، إذ يضم خلاصة أفكار ومحاضرات حبيب الله بيمان. واستنادًا إلى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، سعى بيمان إلى بناء نموذج عملي مستند إلى المبادئ الحاكمة للسيرة النبوية، ليقدمه إلى المجتمع بوصفه منهجًا يُحتذى به في خضم الصراع مع الطاغوت، بما يفضي إلى تحقيق التحول الاجتماعي.

ويرى بيمان أن حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لم تُحلَّل حتى الآن تحليلًا علميًا كافيًا، وأن المبادئ التي تحكمها لم تُستنبط على الوجه الصحيح (بيمان، ١٣٥٧، ج٢، صص. ٧–١٢). كما انتقد أولئك الذين ينظرون إلى شخصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بوصفها نموذجًا يتعذر الاقتداء به، وكذلك الذين يعتقدون أن التحولات الاجتماعية في كل عصر تخضع لظروف خاصة تجعل المبادئ المستفادة من السيرة النبوية صالحة للماضي وحده. وفي مقابل ذلك، أكد أن حاجات الإنسان ودوافعه الأساسية واحدة في جميع الأزمنة، وأن ما أنجزه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإن بدا قريبًا من الإعجاز، فإنه في حقيقته عمل إنساني جرى في حدود الطاقات والاستعدادات البشرية، ومن ثم فهو قابل للاقتداء والتطبيق (بيمان، ١٣٥٧، ج٢، صص. ١٠–١٢).

تكشف هذه التوجهات عن مدى تأثر بيمان بالأجواء التي أوجدتها نهضة الإمام الخميني (قدس سره). ومع ذلك، فإن هذا العمل، شأنه شأن غيره من المؤلفات المماثلة، لم يكن بمنأى عن النزعة التلفيقية، وهو ما جعله عرضةً لجملة من الانتقادات العلمية. وفيما يلي، سيتم بيان معالم المقاربة الاجتماعية للسيرة النبوية كما تجلت في هذه المؤلفات الثلاثة.

٥. تجلّيات الأبعاد الاجتماعية في السيرة النبوية

٥–١. بيان الأبعاد الاجتماعية في السيرة النبوية

يتمثل المحور الأول في هذه المؤلفات في إبراز الأبعاد الاجتماعية للسيرة النبوية؛ إذ إن جميع الوقائع والأحداث فيها قد فُسِّرت من منظور اجتماعي. وقد انعكس هذا التوجه في كثافة استعمال مصطلحات من قبيل: «الثورة»، و«المجتمع»، و«التحول الاجتماعي»، و«المصلح الاجتماعي»، و«الطبقة»، و«الطبقات الاجتماعية»، و«التكامل»، وهي مفاهيم تشكل البنية المفاهيمية الرئيسة لهذه الأعمال.

فعلى سبيل المثال، يقسم علي شريعتي، في مقال «من الهجرة إلى الوفاة»، المجتمع إلى نوعين: المجتمع المغلق والمجتمع المفتوح، ويرى أن الحياة الزراعية (الفلاحية) تمثل نموذجًا للمجتمع المغلق المرتبط بالأرض. ويكشف هذا التعبير عن تأثر مضمون الكتاب بالنظريات الشيوعية التي أكدت تحرير طبقتي العمال والفلاحين. وقد طرح ماو تسي تونغ وأتباعه هذا التصور انطلاقًا من واقع مجتمعات زراعية، كالمجتمع الصيني، حيث اعتبروا أن السبيل إلى تحقيق التحرر يتمثل في ثورة العمال والفلاحين ضد الطبقة الرأسمالية.

غير أن شريعتي يحاول، من خلال قراءة السيرة النبوية، أن يقدم حلًا مغايرًا؛ إذ يرى أن هجرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة كانت وسيلة لتحطيم هيمنة الرأسماليين في مكة، ويعدّها نموذجًا قابلًا للتطبيق بالنسبة إلى سائر الطبقات الاجتماعية. وعلى هذا الأساس، يعتبر الهجرة عاملًا للانتقال من المجتمع المغلق

إلى المجتمع المفتوح، الذي من أبرز خصائصه ذوبان جمود الانحطاط الاجتماعي والديني والفكري والعاطفي (شريعتي، ١٣٤٧، ج١، صص. ٢٣٧–٢٤٣). ومن ثم، فإن شريعتي لا ينظر إلى الهجرة النبوية بوصفها مجرد حادثة تاريخية، بل يعدّها مبدأً اجتماعيًا عظيمًا (شريعتي، ١٣٤٧، ج١، ص. ٢٤٣).

أما جلال الدين الفارسي، ففي كتاب «الثورة التكاملية للإسلام»، يسعى هو الآخر إلى تقديم تفسير اجتماعي للسيرة النبوية؛ إذ يرى أن التحول الذي أحدثه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يمثل ثورة اجتماعية متكاملة (الفارسي، ١٣٤٩، ص. ٥). ويرجع العامل الرئيس في هذا التحول إلى الأثر الذي أحدثه الوحي في شخصية النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومن خلال هذا التحول الشخصي تحقق تحول تكاملي في المجتمع الإنساني بأسره (الفارسي، ١٣٤٩، ص. ٦). ويرى أن هذا التحول يستند إلى الرؤية الكونية الإسلامية التي سجلها القرآن الكريم، والتي تمثل في حقيقتها رؤية خالق الكون للكون (الفارسي، ١٣٤٩، ص. ٧).

وتُعد مفردتا «الثورة» و«التكامل» من أكثر المفاهيم محورية في كتاب الفارسي؛ إذ تؤديان دورًا أساسًا في رسم النموذج الاجتماعي الإسلامي في مقابل النماذج التي طرحتها المذاهب البشرية. فمن وجهة نظره، يدعو الإسلام إلى ثورة مستمرة ودائمة، تكون نتيجتها التكامل والارتقاء الإنساني، ومن ثم تقدم المجتمع. أما إذا أُعرض عن هذه الثورة، فإن المجتمع سيرتد إلى «المجتمع الجاهلي»، بما يعنيه ذلك من تراجع حضاري، والتنكر للقيم، والخضوع لسلطة الطاغوت.

ومن جانبه، يتناول حبيب الله بيمان الأحكام والتشريعات الإسلامية التي طُبقت في عصر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من منظور اجتماعي، ويرى فيها الأساس الذي أفضى إلى تحول حضاري كبير. فهو يعدّ الصلاة قيامًا جماعيًا لمواجهة الشرك، الذي يراه أخطر العوائق أمام تكامل الإنسان، كما يعتبرها أرقى مراحل صراع الإنسان مع النزعات المناقضة للتكامل الكامنة في نفسه (بيمان، ١٣٥٧، ج٣، صص. ٣٦–٣٧).

وانطلاقًا من هذا التحليل الاجتماعي، يثبت بيمان إيمان أبي طالب، ويصفه بأنه مؤمن برسالة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وبحقانية طريقه؛ لأنه صمد أمام أقسى الضغوط، ولم يتخلَّ عن ابن أخيه، ولم يتركه وحيدًا في مواجهة أعدائه، بل كان بمنزلة حصن منيع حماه من مؤامرات قريش المتواصلة (بيمان، ١٣٥٧، ج٣، ص. ١٣٥).

كما يصف الإجراءات العسكرية التي اتخذها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنها مرحلة تكاملية في النهج القائم على استخدام القوة (بيمان، ١٣٥٧، ج٣، ص. ٢٣١)، ويرى أن صلح الحديبية كان محاولة لانتزاع اعتراف رسمي من العدو بالحركة الإسلامية بوصفها قوة قائمة، فضلًا عن كونه فرصة للقضاء على القوى المضادة للثورة (بيمان، ١٣٥٧، ج٣، ص. ٣٠٨).

٥-٢. بيان نموذج المواجهة مع التأكيد على الاقتداء بالسيرة النبوية

إن الذين تناولوا السيرة النبوية وفق المقاربة الاجتماعية لم يهدفوا إلى تقديم قراءة تاريخية فحسب، وإنما سعوا إلى صياغة نموذج عملي لمجتمعهم؛ انطلاقًا من إيمانهم بأن التحول الاجتماعي لا يتحقق إلا من خلال الاقتداء بنموذج ناجح. ولذلك أولى مؤلفو هذه الأعمال اهتمامًا خاصًا بتقديم النماذج التطبيقية، وبيان معالم النظام الاجتماعي المستند إلى التعاليم النبوية. وفي هذا السياق، يتناول شريعتي مفهوم الهجرة، ويقسمها إلى هجرة نفسية (داخلية) وهجرة آفاقية (خارجية)، ويرى أن تطهير النفس من الشوائب، والتحلي بالأخلاق الإسلامية، يمثلان المدخل الحقيقي لإحداث التحولات الخارجية في المجتمع (شريعتي، ١٣٤٧، ج١، ص. ٢٤٩). واستنادًا إلى الآيات القرآنية، يعتبر شريعتي الهجرة، ولا سيما أسمى صورها، وهي الهجرة الفكرية والعقدية، مبدأً عظيمًا ومقدسًا، وواجبًا إنسانيًا (شريعتي، ١٣٤٧، ج١، ص. ٢٤٤). ومن خلال الإشارة إلى نجاح الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في تطبيق هذا المنهج، يدعو، بصورة غير مباشرة، إلى استلهامه في المجتمع المعاصر (شريعتي، ١٣٤٧، ج١، ص. ٢٥٢). ولهذا ركّز شريعتي على الهجرة النبوية، لأنه أراد أن يقدم للمجتمع نموذجًا عمليًا ينتقل به من الواقع القائم إلى الواقع المنشود (شريعتي، ١٣٤٧، ج١، ص. ٢٤٩). كما حلّل أسلوب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في بناء المجتمع الإسلامي في المدينة، وعدَّ أول خطوة قام بها تتمثل في وضع ميثاق أساسي لمجتمع يثرب مستند إلى مبادئ الإسلام، يحدد الحقوق والواجبات، وينظم العلاقات بين الأفراد والجماعات والطبقات الاجتماعية والأقليات، فضلًا عن رسم معالم السياسة الداخلية والخارجية للدولة الناشئة (شريعتي، ١٣٤٧، ج١، ص. ٢٧٢). ومن خلال هذا التحليل، يسعى شريعتي إلى توجيه الشباب نحو استلهام وثيقة المدينة، بوصفها نموذجًا يمكن الإفادة منه في صياغة ميثاق اجتماعي جديد يعينهم على إعادة بناء مجتمعهم، ويهديهم إلى النهج الصحيح في مواجهة الطاغوت.

أما جلال الدين الفارسي، فمن خلال عرضه صور الإيثار والبطولة التي جسدها بعض المسلمين، يرى أن الثورة العقدية والأخلاقية هي الجذر الحقيقي لهذه المواقف، وأنها كانت ثمرة التحول الذي أحدثه الإسلام في النفوس (الفارسي، ١٣٤٩، صص. ٢٧٨–٢٨٣). كما يعدّ الانتقال من الملكية المطلقة إلى النبوة والقيادة السياسية الأخوية الرشيدة والمقيدة بالضوابط من أبرز التحولات التي أفرزتها الثورة الاجتماعية الإسلامية (الفارسي، ١٣٤٩، ص. ١٣٠). ويبدو أن هذا الوصف يحمل دلالة واضحة على النظام الملكي الذي كان يحكم إيران عند تأليف الكتاب، والذي قامت نهضة الإمام الخميني (قدس سره) لمواجهته.

ويرى الفارسي أن جوهر الثورة السياسية في الإسلام يتمثل في تغيير مفهوم تأسيس الدولة؛ إذ أخرج الإسلام الدولة من كونها وسيلة لهيمنة جماعة داخلية قوية أو قوم غازٍ على الجماهير الكادحة، وجعلها قائمة على التضامن العقائدي، والتعاون، وتبادل الخدمات، في إطار مبادئ عادلة ومدونة (الفارسي، ١٣٤٩، ص.

١٣٢). ومن خلال حديثه عن مفهوم الارتداد (الارتجاع) والعودة عن الثورة الإسلامية، يحاول الفارسي تنبيه قرائه إلى ضرورة الالتزام بنموذج الثورة التكاملية للإسلام، والعمل على تحقيقه، ثم إزالة العوامل التي قد تؤدي إلى الارتداد عنه. وعليه، فإن اتخاذ تاريخ عصر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) محورًا للبحث لم يكن غاية في ذاته، وإنما وسيلة اعتمدها الفارسي لتحليل واقع مجتمعه، وتقديم نموذج عملي لإصلاحه.

أما حبيب الله بيمان، فقد تناول مراحل حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمنظور نفسه؛ إذ يرى أن نشأة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في أسرة حليمة السعدية هيأت له التعرف على حياة أضعف الطبقات الاجتماعية (بيمان، ١٣٥٧، ج٢، ص. ١٢٥). كما عدَّ مشاركة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حلف الفضول تجربةً اجتماعيةً للدفاع عن المستضعفين والمظلومين في مواجهة الظالمين وأصحاب النفوذ (بيمان، ١٣٥٧، ج٢، صص. ٤٠—٤١). ويستند هذا النمط من التحليل إلى الإيمان بإمكان استلهام التجربة التاريخية وتكرار سننها، وإبراز مسار المواجهة أمام المخاطبين، بما يؤكد أن المبادئ التي جسدتها السيرة النبوية ليست حكرًا على الماضي، بل يمكن أن تتحقق في الواقع المعاصر أيضًا.

٥—٣. بيان دور القيادة النبوية ومكانتها في التحولات الاجتماعية

إنَّ كلَّ تحولٍ اجتماعي يحتاج إلى قيادة ناجحة وقادرة على إدارة عملية التغيير؛ ومن ثمَّ أولت المؤلفات محل الدراسة اهتمامًا بالغًا بدور رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في التحول الاجتماعي الذي شهدته مجتمعات عصره. وقد أسهم هذا الطرح في إيجاد نوعٍ من التماهي بين المجتمع الإيراني قبل الثورة الإسلامية والمجتمع النبوي.

وفي هذا الإطار، يرى علي شريعتي أن المحور الرئيس للتحولات التي شهدتها مكة والمدينة هو قيادة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) (شريعتي، ١٣٤٧، ج١، صص. ٢٤٩، ٢٧٢). كما يعدُّ جلال الدين الفارسي الشخصية المتكاملة للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الأساس الذي انطلقت منه التحولات التي طرأت على المجتمع (الفارسي، ١٣٤٩، ص. ٦). أما حبيب الله بيمان، فيعتبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المحور المركزي لجميع التحولات التي عرفها صدر الإسلام (بيمان، ١٣٥٧، ج١، ص. ٤). وعليه، تُصوَّر القيادة في هذه المؤلفات بوصفها قيادةً إصلاحيةً اجتماعية، وشخصيةً محوريةً قادرةً على صناعة التحولات التاريخية وتوجيه مسارها.

٥—٤. نقد النماذج المنافسة في ضوء السيرة النبوية

بدأت مواجهة النظام البهلوي منذ المراحل الأولى لوصول هذه السلالة إلى السلطة، واتخذت صورًا وأشكالًا

متعددة، غير أن هذه المواجهة اكتسبت بعدًا أكثر جدية في عهد بهلوي الثاني. وكانت الفكرة المحورية التي استندت إليها المعارضة تتمثل في الثورة الاجتماعية، التي كان يُنظر إليها باعتبارها السبيل إلى إحداث تحول جذري في المجتمع الإيراني. ومع ذلك، فإن الاتجاه الذي شاع في إيران خلال السنوات الأولى من عهد بهلوي الثاني كان الفكر الماركسي وما يطرحه من تفسير خاص للتحولات الاجتماعية. وعلى الرغم من الجهود الواسعة التي بُذلت لنشر هذا الفكر، فإنه واجه عقبات متعددة، كان أبرزها رسوخ البنية الدينية في المجتمع الإيراني.

ومن جهة أخرى، اتجه عدد من المثقفين المسلمين إلى تقديم التصور الإسلامي للثورة الاجتماعية المنشودة، وقد انتشرت بعض هذه الرؤى بعد نهضة الإمام الخميني (قدس سره). وانعكس ذلك أيضًا في المؤلفات موضوع هذه الدراسة؛ إذ سعى مؤلفوها، اعتمادًا على السيرة النبوية، إلى نقد النماذج الفكرية المنافسة، وتقديم النموذج الاجتماعي الإسلامي بوصفه البديل الصحيح.

فعلى سبيل المثال، اختار شريعتي الهجرة محورًا لتحليله، وقسمها إلى هجرة نفسية (داخلية) ثم هجرة آفاقية (خارجية) (شريعتي، ١٣٤٧، ج١، ص. ٢٤٩)، وأكد أن الإسلام يجعل الانبعاث الداخلي، والهجرة الفكرية والعقدية، ثم التغيير الخارجي، المنهج الصحيح في عملية المواجهة والإصلاح (شريعتي، ١٣٤٧، ج١، ص. ٢٤٤). ومن خلال هذا الطرح، وجّه نقدًا غير مباشر إلى الرؤية الماركسية التي كانت تحصر عملية التغيير في انتفاضة الطبقة العاملة ضد الطبقة الرأسمالية.

أما جلال الدين الفارسي، فيرى أن القراءة الشاملة للأحداث التاريخية شرطٌ لازم للوصول إلى مشروع حضاري متكامل، ويوجه نقدًا إلى المادية التاريخية التي تقصر تفسيرها للأحداث على العامل الاقتصادي وحده (الفارسي، ١٣٤٩، المقدمة، ص. هـ).

وانطلاقًا من هذا المنهج، صاغ نظريته في الثورة التكاملية للإسلام ضمن ثلاثة تيارات اجتماعية، هي: نهضة الثورة التكاملية للإسلام، والحركة والثورة الرجعية، والحركة والجهاد من أجل تجديد الثورة التكاملية. ويرى أن التيارين الأول والثالث يرتبط أحدهما بالآخر، في حين يمثل الثاني ارتدادًا إلى العصر الجاهلي (الفارسي، ١٣٤٩، صص. ز—ح).

ويعتقد الفارسي أن الغاية من بعثة الأنبياء وإنزال الكتب السماوية هي إعادة تنظيم المجتمع على أساس العدالة، بحيث يعاد بناء العلاقات الاجتماعية على أسس عادلة من التعاون والتكافل، وهو ما يمثل في جوهره تحقيق الثورة الاجتماعية العادلة والتكاملية (الفارسي، ١٣٤٩، ص. ١٦). كما يؤكد أن الثورة الاجتماعية في الإسلام ليست مقصورة على جانب واحد، وإنما تشمل جميع ميادين الحياة الإنسانية (الفارسي، ١٣٤٩، صص. ٢٠—٢١)، ويرى أن المدخل إلى الإصلاح الاجتماعي يبدأ بإحداث تحول في البعدين العقدي والأخلاقي، ثم يمتد أثره إلى سائر مجالات الحياة (الفارسي، ١٣٤٩، ص. ٢٤).

ويذهب الفارسي إلى أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بدأ في مكة بوضع الأسس الاجتماعية للأمة الإسلامية من خلال تنظيم الجماعة الإسلامية وتدبير شؤونها، ثم استكمل هذا المشروع بعد إقامة الدولة في المدينة (الفارسي، ١٣٤٩، ص. ١١٣). وكما هو الحال عند شريعتي، يعدُّ الفارسي الهجرة تكتيكًا ناجعًا للتحرر من سلطة الطبقة الحاكمة (الفارسي، ١٣٤٩، ص. ٢٧). ولتوضيح هذا الرأي، يستعرض أولًا هجرة موسى (عليه السلام) وقومه (الفارسي، ١٣٤٩، ص. ٢٧)، ثم ينتقل إلى تصوير هجرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة (الفارسي، ١٣٤٩، صص. ٣٣—٣٥).

ويرى أن تكوين الأمة يمر عبر تنفيذ برنامج يقوم على الجهاد التربوي والنهضة العقدية والأخلاقية (الفارسي، ١٣٤٩، صص. ٣٦—٣٧). واستنادًا إلى الآيات القرآنية، يبين أن الإسلام أحدث ثورة حقيقية في نفوس السابقين إلى الإسلام، ويقول: «إن الثورة التي أحدثها الله بقدرة نبيه في طلائع النهضة كانت ثمرة عملية للإيمان بالعقائد الإسلامية، وهو إيمان يثمر في كل زمان نتائج ثابتة ومحققة للفرد والمجتمع والأمة التي تعتنقه» (الفارسي، ١٣٤٩، ص. ٤٣). ثم يعزز هذا الرأي بالإشارة إلى المصادر التاريخية ذات الصلة، ويورد في هذا السياق خطاب جعفر بن أبي طالب (الفارسي، ١٣٤٩، ص. ٤٤). ويتمثل العنصر المحوري في نظرية الفارسي في التأكيد على أن الثورة الداخلية هي الأساس الذي تنبثق منه الثورة الخارجية، والتي تقود بدورها إلى التحول الجذري في المجتمع، ويرى أن التعاليم القرآنية هي التي تصنع هذا التحول الداخلي. كما يذهب إلى أنه كما تمر المجتمعات بمرحلة الثورة، فإنها قد تتعرض أيضًا، إذا انحرفت عن برامج الإسلام، لحالة من الانحطاط تنتهي بالارتداد إلى الجاهلية. ومن ثم، فإن جلال الدين الفارسي لم يقتصر على نقد النظرية المنافسة، بل عمل أيضًا على بلورة التصور الإسلامي لمفهومي الثورة والتحول الاجتماعي في إطار نظري متكامل.

أما حبيب الله بيمان، فقد خصص في كتابه جانبًا من بحثه لنقد النظريات التي تفسر بعثة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بوصفها ظاهرة اجتماعية منفصلة عن الإرادة الإلهية. وتركز نقده أساسًا على أطروحات الماديين، الذين يرون ـ استنادًا إلى نظرية الحتمية التاريخية ـ أن البعثة لم تكن سوى نتيجة للظروف والضرورات الاجتماعية، وبذلك ينكرون صلتها بالمصدر الإلهي؛ لأنهم لا يؤمنون أصلًا بالوحي. وقد عرض بيمان هذه الآراء، ثم ناقشها وردَّ عليها (بيمان، ١٣٥٧، ج١، صص. ٣٢—٥٤). كما رفض رأي الباحثين الماركسيين القائل بأن التعاليم الإسلامية مقتبسة من التوراة والإنجيل، وعدَّه مجرد افتراض لا يقوم على دليل، ويتعارض مع الشواهد التاريخية القطعية التي تثبت نزول الوحي على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (بيمان، ١٣٥٧، ج١، صص. ٥٥—٥٦). وانتقد كذلك المنهج الذي اعتمده المؤرخون الماركسيون، مبينًا أنهم ينطلقون من افتراضات مسبقة عند دراسة التاريخ، ولا يولون الوقائع التاريخية عنايتهم الموضوعية اللازمة (بيمان، ١٣٥٧، ج١، ص. ٦٣).

ومن جهة أخرى، سعى بيمان إلى بناء نموذج عملي مستمد من المبادئ الحاكمة لحياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيرته، ليقدمه إلى المجتمع بوصفه منهجًا يُحتذى به في مواجهة الظلم والفساد، وصولًا إلى تحقيق التحول الاجتماعي.

وانطلاقًا من اعتقاده بأن المبادئ الحاكمة للسيرة النبوية لم تُحلل حتى الآن تحليلًا وافيًا، أورد عددًا من هذه المبادئ، من أهمها: التعامل الجدلي للنبي مع الأحداث، والقدرة على تحليل القضايا، والمرونة في الوقت المناسب، مقرونةً بالثبات في متابعة الهدف، وعدم الغفلة عن الغاية النهائية مع مراعاة جميع القضايا المرحلية والوسيطة، وشمولية الرؤية، وقوة الصبر والثبات، والعيش بين الناس، ومشاركتهم التفكير والمشاعر والأحاسيس (بيمان، ١٣٥٧، ج١، ص. ١٧).

وفي ختام عرضه، دعا بيمان المسلمين إلى الاقتداء برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لتحقيق التحولات والإصلاحات الجذرية في مجتمعاتهم (بيمان، ١٣٥٧، ج١، ص. ١٧).

الخاتمة

يُعَدُّ بروزُ المقاربة الاجتماعية للسيرة النبوية من أبرز الآثار التي أفرزتها نهضة الإمام الخميني (قدس سره). فقد تشكَّلت هذه المقاربة انطلاقًا من أن نهضة الإمام الخميني قامت أساسًا على إحداث تحول في البنية الاجتماعية للمجتمع الإيراني، وكان من ثمار هذا التحول قيامُ الثورة السياسية على مستوى نظام الحكم واستمرارها.

وقد أسهم اهتمام الإمام الخميني بمفاهيم مثل «الثورة»، و«المجتمع»، و«الشعب»، و«العودة إلى تعاليم الإسلام»، وغيرها، في تشكيل منظومة فكرية أفضت إلى إبراز البعد الاجتماعي والثوري للإسلام، ومن ضمنه السيرة النبوية؛ إذ إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واجه الطاغوت، وجعل تحقيق النصر رهينًا بإحداث تحول اجتماعي شامل، الأمر الذي انتهى إلى قيام ثورة إسلامية.

وقد أدى ذلك إلى ظهور عدد من المؤلفات التي تناولت سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من منظور اجتماعي خلال المدة الممتدة من أوائل عقد الأربعينيات الهجرية الشمسية حتى عام ١٣٥٧هـ.ش. ومن بين هذه المؤلفات، تبرز ثلاثة أعمال هي: «من الهجرة إلى الوفاة» لعلي شريعتي، و«الثورة التكاملية للإسلام» لجلال الدين الفارسي، و«كيف نبتت الوردة الحمراء للتوحيد في صحراء الشرك؟» لحبيب الله بيمان. وعلى الرغم من التباينات الجوهرية بينها، فإنها تشترك جميعًا في هدف واحد، يتمثل في تقديم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بوصفه قائدًا ثوريًا استطاع أن يُحدث، في مواجهة الطاغوت، ثورةً كبرى أحدثت تحولًا عميقًا في المجتمع.

ومع ذلك، اختلف هؤلاء المؤلفون في الكيفية التي صاغوا بها التصور الكلي للنظام الاجتماعي في الإسلام. فكلما اقتربت تحليلات بيمان من الرؤية الماركسية، بدا أثر أفكار جلال الدين الفارسي أكثر حضورًا في خطابات الإمام الخميني (قدس سره). ومن جهة أخرى، يؤكد شريعتي أن إصلاح المجتمع من الخارج لا يتحقق إلا عبر إعادة بناء الإنسان من الداخل بالاستناد إلى الدين.

ولا شك أن هذا النمط من التفكير لم يكن بمعزل عن نهضة الإمام الخميني؛ إذ كانت هذه النهضة ترمي إلى إحياء المجتمع الإسلامي من خلال استلهام السنة والسيرة النبوية، والاحتكام إلى التشريع الإلهي. وقد أسهم هذا التوجه في تنمية الوعي المجتمعي، وتعزيز المطالبة بالتعرف بصورة أعمق إلى سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو ما انعكس في ازدياد عدد المؤلفات التي تناولت شخصيته وسيرته بعد نهضة الإمام الخميني، وكان قسمٌ مهم منها مكتوبًا وفق المقاربة الاجتماعية.

المراجع

- القرآن الكريم. ترجمة محمد مهدي فولادوند.

١. آبراهاميان، يرواند. (١٣٨٩هـ.ش). **إيران بين ثورتين** (ترجمة أحمد كل‌محمدي، ومحمد إبراهيم فتّاحي وليلائي). طهران: منشورات ني.

٢. الأسدآبادي، السيد جمال الدين. (١٤٢٣هـ). **العروة الوثقى** (تحقيق السيد هادي خسروشاهي). القاهرة: مكتبة الشرق الدولية.

٣. بلاك، جيريمي، ومكرايلد، دونالد م. (١٣٩٠هـ.ش). **دراسة التاريخ** (ترجمة محمد تقي إيمان‌پور). مشهد: جامعة فردوسي.

٤. باكتشي، أحمد، حاج منوتشهري، فرامرز، وأنصاري، حميد. (١٣٩٤هـ.ش). «الخميني، روح الله». **دائرة المعارف الإسلامية الكبرى**، طهران: مركز دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، ج٢٢.

٥. پرورش، علي أكبر. (١٣٥٦هـ.ش). **النبي في مكة**. قم: منشورات شفق.

٦. بيمان (پايدار)، حبيب الله. (١٣٥٧هـ.ش). **كيف نبتت الوردة الحمراء للتوحيد في صحراء الشرك؟ الدفتر الأول: الوردة الحمراء للتوحيد يحرسها السيف**. طهران: منشورات قلم.

٧. ـــــ. (١٣٥٧هـ.ش). **كيف نبتت الوردة الحمراء للتوحيد في صحراء الشرك؟ الدفتر الثاني: الوردة الحمراء للتوحيد على شجرة الإنسانية**. طهران: منشورات قلم.

٨. ـــــ. (١٣٥٧هـ.ش). **كيف نبتت الوردة الحمراء للتوحيد في صحراء الشرك؟ الدفتر الثالث: السيوف تتفتح في كف الوردة الحمراء للثورة**. طهران: منشورات قلم.

٩. ـــــ. (١٣٦٠هـ.ش). **كيف نبتت الوردة الحمراء للتوحيد في صحراء الشرك؟ الدفتر الرابع: المبادئ الأساسية للمجتمع التوحيدي؛ النظام والعلاقات الاقتصادية**. طهران: منشورات مكتب.

١٠. حق‌شناس، علي محمد، وآخرون. (١٣٩٠هـ.ش). **معجم هزارة المعاصر** (ط٢١). طهران: منشورات فرهنگ معاصر.

١١. الخميني، الإمام روح الله. (١٣٨٥هـ.ش). **صحيفة الإمام**. طهران: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني (قدس سره).

١٢. ديگار، جان بيير، هوركاد، برنار، وريشار، يان. (١٣٧٨هـ.ش). **إيران في القرن العشرين: دراسة الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية في إيران خلال المائة سنة الأخيرة**. طهران: منشورات البرز.

١٣. رادمنش، عزت الله. (١٣٧٩هـ.ش). **المدارس التاريخية والحداثة في علم التاريخ**. طهران: منشورات مؤسسة بيك ستاره دانش الثقافية.

١٤. شريعتي، علي. (١٣٤٧هـ.ش). «من الهجرة إلى الوفاة». في: **محمد خاتم الأنبياء**. طهران: حسينية الإرشاد.

١٥. ـــــ. (١٣٤٧هـ.ش). «ملامح محمد». في: **محمد خاتم الأنبياء**. طهران: حسينية الإرشاد.

١٦. شعاع حسيني، فرامرز. (١٣٨٧هـ.ش). **عقد الخمسينيات؛ مذكرات حسن حسن زاده كاشمري، وعلي خاتمي، ومحمد كاظم شكري**. طهران: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني (قدس سره).

١٧. شهيدي، السيد جعفر. (١٣٦٣هـ.ش). «لقاء مع المفكر الفاضل الدكتور السيد جعفر شهيد». **كيهان فرهنگي**، العدد ١.

١٨. عنايت، حميد. (١٣٦٥هـ.ش). **الفكر السياسي في الإسلام المعاصر** (ترجمة بهاء الدين خرمشاهي). طهران: منشورات خوارزمي.

١٩. الفارسي، جلال الدين. (١٣٤٩هـ.ش). **الثورة التكاملية للإسلام**. طهران: منشورات آسيا.

٢٠. كار، إدوارد هاليت. (١٣٤٩هـ.ش). **ما التاريخ؟** (ترجمة حسن كامشاد). طهران: شركة خوارزمي للنشر.

٢١. معين، محمد. (١٣٧٥هـ.ش). **معجم معين للغة الفارسية**. طهران: أمير كبير.

٢٢. مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني (قدس سره). (١٣٩٣هـ.ش). **الإمام (قدس سره) كما يرويه العلماء**. طهران: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني (قدس سره).

٢٣. وحدت، فرزين. (١٣٩٠هـ.ش). **المواجهة الفكرية الإيرانية مع الحداثة** (ترجمة مهدي حقيقت‌خواه).

طهران: ققنوس.

٢٤. يعقوب زاده، هادي. (١٣٩٦هـ.ش). **مقاربات تدوين السيرة النبوية لدى الشيعة منذ بداية العصر البهلوي حتى العصر الحاضر (١٣٠٤-١٣٨٥هـ.ش)** (أطروحة دكتوراه، إشراف: عباس أحمدوند، ومحمد مهدي باباپور؛ المستشار: نعمة الله صفري فروشاني). جامعة الشهيد بهشتي.

References

• The Holy Qur'an, translated by Mohammad Mahdi Fouladvand.

1. Abrahamian, Ervand (1389), Iran Between Two Revolutions, translated by Ahmad Golmohammadi and Mohammad Ibrahim Fattahi Lailayi, Tehran: Ney Publishing.
2. Asadabadi, Sayyid Jamal al-Din (1423 AH), al-ʻUrwat al-Wuthqā. edited by Sayyid Hadi Khosroshahi, Cairo: Maktabat al-Sharq al-Dawliyya.
3. Blake, Jeremy; McRael, Donald M. (1390), Studying History. translated by Mohammad Taqi Imanpour, Mashhad: Ferdowsi University.
4. Pakatchi, Ahmad; Haj Manouchehri, Faramarz; Ansari, Hamid (1394), "Khomeini, Ruhollah" (Entry), The Great Islamic Encyclopedia, Tehran: Center for the Great Islamic Encyclopedia.
5. Parvaresh, Ali Akbar (1356), The Prophet in Mecca, Qom: Shafaq Publications.
6. Peyman (Paydar), Habibollah (1357), The Red Rose of Monotheism: How Did It Bloom in the Desert of Polytheism? Vol. 1: The Guardian's Blade for the Red Rose of Monotheism, Tehran: Qalam Publications.
7. _____, The Red Rose of Monotheism: How Did It Bloom in the Desert of Polytheism? Vol. 2: The Red Rose of Monotheism on the Tree of Humanity, Tehran: Qalam Publications.
8. _____, The Red Rose of Monotheism: How Did It Bloom in the Desert of Polytheism? Vol. 3: Thorns Blooming in the Hand of the Red Rose of Revolution, Tehran: Qalam Publications.
9. _____ (1360), The Red Rose of Monotheism: How Did It Bloom in the Desert of Polytheism? Vol. 4: Fundamental Principles of a Monotheistic Society: Economic Systems and Relations, Tehran: Maktab Publications.
10. Hagh-Shenas, Ali Mohammad, et al. (1390), Millennium Contemporary Dictionary. Tehran: Contemporary Culture Publications, 21st Edition.
11. Khomeini, Ruhollah (1385), Sahifah Imam [The Collected Works of Imam Khomeini], Tehran: Institute for Compilation and Publication of Imam Khomeini's Works.

12. Déguy, Jean-Pierre; Horcade, Bernard; Richer, Yann (1378), Iran in the Twentieth Century: An Analysis of the Political, Social, Economic, and Cultural Situation of Iran in the Last Hundred Years, Tehran: Alborz Publishing.
13. Radmanesh, Ezzatullah (1379), Historical Schools and the Historicity of Modernity, Peike Setareh Danesh Cultural Institute.
14. Shariati, Ali (1347), "From the Hijrah to the Demise," in Muhammad, the Seal of the Prophets, Tehran: Hosseiniyeh Ershad.
15. …, "The Image of Muhammad," in Muhammad, the Seal of the Prophets, Tehran: Hosseiniyeh Ershad.
16. Shoa Hosseini, Faramarz (1387), The 1970s: Memoirs of Hassan Hassanzadeh Kashmeri, Ali Khatami, and Mohammad Kazem Shokri, Tehran: Institute for Compilation and Publication of Imam Khomeini's Works.
17. Shahidi, Sayyid Jafar (1363), "A Meeting with the Wise Thinker, Dr. Sayyid Jafar Shahidi," Keyhan Farhangi, No. 1.
18. Enayat, Hamid (1365), Contemporary Political Thought in Islam, translated by Baha'uddin Khorramshahi, Tehran: Khwarizmi.
19. Farsi, Jalal al-Din (1349), The Evolutionary Revolution of Islam, Tehran: Asia Publications.
20. Carr, E.H. (1349), What is History?, translated by Hassan Kamshad, Tehran: Khwarizmi Publishing Co.
21. Moin, Mohammad (1375), Moin Persian Dictionary, Tehran: Amirkabir.
22. Institute for Compilation and Publication of Imam Khomeini's Works (1393), Imam [PBUH] as Narrated by Scholars, Tehran: Institute for Compilation and Publication of Imam Khomeini's Works.
23. Vahdat, Farzin (1390), Iran's Intellectual Encounter with Modernity, translated by Mehdi Haghighatkhah, Tehran: Qoqnous.
24. Yaghoubzadeh, Hadi (1396), "Approaches to the Sīrah-writing of the Great Prophet (PBUH) by the Shi'a from the Beginning of the Pahlavi Era to the Present (1925–2006)," PhD Dissertation, Supervisors: Abbas Ahmavand, Mohammad Mahdi Babapour; Consultant: Nematollah Safari Forousani, Shahid Beheshti University.